

مشكلة الماء قضية مصيرية

إن قضية الماء تحظى بالاهتمام العالمي أكثر بكثير من الاهتمام العربي، وإن المتخصصين والمثقفين ينبهون لمشكلة المياه وأنها قضية مصيرية، ويتوقف عليها وجود العرب وحياتهم، وإن الحرب القادمة هي حرب المياه، إن مشكلة المياه بمثابة صدمة كهربائية لإيقاظ أجسادنا وأرواحنا فمن دون الماء لا حياة ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾. وهي أهم من النفط بكثير.

إن المياه ستبرز كمصدر قوة لمن في أيديهم مصادر هذه المياه للضغط على الأمة واستنزاف ما تبقى من قوتها، وإمكاناتها مع العلم أنه من المتوقع في السنوات القادمة أن المجتمعات الإسلامية ستحتاج إلى أربعة أضعاف ما تستهلكه اليوم من المياه العذبة. بينما المياه في تلك البلاد ستتناقص وبشكل ملحوظ.

فنهري النيل أصبح مصدر قلق للدول الإسلامية التي يمر عليها، وذلك بسبب الزيادة في عدد السكان وكثرة التصرف في الماء وإلى أنها آخر الدول التي يمر عليها فتتلوث المياه قبل وصولها، كما أن الخطر من قبل ما نراه من آثار مشكلة سد النهضة يظهر لك حجم الخطر.

أما في بلاد الشام والعراق فإن نهر دجلة والفرات تصدر من تركيا، وقد بدأت تركيا في إقامة مشروع شرق الأناضول المكون من عدد من السدود والخزانات يصل إلى اثنين وعشرين سداً يمنع وصول الماء إلى العراق وسوريا وأهمها وأكبرها سد أتاتورك.

أما دول الخليج جميعها، ومنها المملكة العربية السعودية فهي في معاناة في قضية المياه من أوجه عديدة:

أولاً: المياه الجوفية في تناقص مستمر نتيجة استهلاك القطاعات الصناعية والزراعية والاستخدام المنزلي.

وقد حدث استنزاف غير عادي وسريع للمياه الجوفية في المنطقة خلال العقود الماضية بعد تشجيع الزراعة، وأدى ذلك إلى هدر كبير في مخزون المياه الجوفية.

ثانياً: تعاني المياه الجوفية من مشكلة التملح فبعد استنزاف المياه الجوفية تبقى خزاناتها فارغة، وهنا تتسرب مياه الخليج العربي والبحر الأحمر المالحة فتصب في أحواض المياه الجوفية مما جعل المياه الجوفية في المملكة والخليج غير صالحة للاستهلاك البشري في أغلبها.

ثالثاً: المياه السطحية كالأبار بالجنوب تعتمد عادة على الأمطار لتغذيتها، ونحن نرى ندرة الأمطار في زماننا، ولذا جفت هذه الآبار في عامة أنحاء المنطقة، وسبب ذلك حرجاً وغلاءً في أسعار الماء.

وقد أقامت الدولة العديد من السدود للاستفادة من مياه السيول، ولكن المطر قل جداً حتى جفت أغلب تلك السدود فالله المستعان.

رابعاً: زادت الحاجة بسبب الاستهلاك (والإسراف)، وبسبب زيادة عدد السكان ... في عام ١٤٠٠ إلى بليون متر مكعب، وفي عام ١٤١٠ وصل إلى ٢٢ بليون، ويتوقع أن يصل بعد سنوات قليلة إلى ٣٥ بليون متر مكعب، ومن هنا ندرك حجم المشكلة مع التناقص الحاد في المياه.

خامساً: تحلية المياه. لو سألتكم هل التحلية بديل دائم أم هي بديل مؤقت؟

لأجبتم بل؛ بديل مؤقت فقط حتى يمكن إيجاد بدائل أفضل منها أو حتى ينتهي دورها عند حد معين.

ثم إن في التحلية مخاطر ومنها:

❖ تسبب مشكلات تلوث للهواء وللمياه نتيجة عملية الاحتراق اللازمة.

❖ تخلف النفايات والملوحة بعد التقطير والتنقية وترد في البحر، وهذا يؤثر على الحياة النباتية والثروة الحيوانية في البحر لتغير ملوحة البحر عليها.

❖ التكلفة الحقيقية لكل متر مكعب من مياه البحر المحلاة تبلغ ٤ ريالات تقريباً، وهو سعر مرتفع جداً. مع أن عمر الآلات قصير بالنسبة إلى غيره. فإن التقادم في الآلة قد لا يصل إلى عشر سنوات، ويضاف عليها التكاليف الإدارية والصيانة والنقل وكل هذا يمكن حله إلى حين.

❖ التحلية هي البنية التحتية للبلد وعليها خطر كبير.

سادساً: المملكة والخليج تواجه مخاطر التصحر وباتت هذه المشكلة توجد مشاكل اقتصادية كبرى.

كما أن التوسع في بناء البيوت مكان المزارع وزحف المدينة على الضواحي يوسع حجم المشكلة المائية.

سابعاً: يتوقع ازدياد السكان في الوطن العربي حتى وصل ٤٠٠ مليون، وهنا يرتفع الاستهلاك للمياه إلى قريب من الضعف.

ويتوقع العجز عام ١٤٥٠هـ سيصل إلى ٢٨٢ مليون متر مكعب يقول أحد المفكرين الغربيين ناصحاً للدول العربية في كتاب (المياه في العالم العربي التحديات وآفاق المستقبل) كل قطرة أو متر مكعب أو كيلومتر مكعب من المياه يجب استخدامه على أحسن وجه وإلى أقصى حد. تخيلوا بعض الخزانات تحمل ٣٠ طناً من الماء وفي خلال ١٥ يوماً قد انتهى وجاء رب المنزل يزاحم الناس لـ ٣٠ طناً سيعبث بها فيما بعد، ٣٠

طناً يعني في اليوم طنان. وكشف تقرير عام ١٤٣٣ لوزارة المياه والكهرباء بالسعودية عن ارتفاع معدل استهلاك الفرد للمياه في بعض مدن المملكة إلى ٣٨٠ لتراً في اليوم مقارنة بـ ١٦٠ - ١٨٠ لتراً في المتوسط بمختلف دول العالم ذوات الأنهار والعيون والله يقول: {ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين} الآية. {وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد} وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله كره لكم... قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال). وقال تعالى: {إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً} الآية. أما أصحاب التمديدات فالعجائب والغرائب والصور الحقيقية للعبث بالمياه، فرحمك اللهم وإيكم صور من الإسراف في الماء في زماننا:

- **النساء في البيوت يعبثن بالماء أيما عبث،** ولا يتحملن مسئولية الماء يوماً ما. وانظر إلى غسيل الأواني والثياب.
- **يجلس الطفل على كرسي دورة المياه،** ثم يأخذ الشطاف، ويغرق به جدران الحمام.
- **الخادومات يعبثن بالماء،** كأنهن في بلاد ذوات الأنهار بل أشد.
- **المطاعم والمطابخ والمنادي والمساح،** ويعبثون بالماء بصورة مشينة.

- في المساجد يطلق صنوبر الماء إلى الآخر، ثم يتحدث مع صاحبه ولا يتنبه إلى الماء الذي يذهب بلا فائدة.
- بعض الناس يدخل دورة المياه للاغتسال، فيجلس ساعة أو قريباً منها والماء يصب لا يتوقف مع أنه يكفيه عشر معشار هذا الماء (كان صلى الله عليه وسلم يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع).
- بدأ بعض الناس يتوجهون إلى عمل البرك في البيوت لأجل الترفيه.

أسباب هذا الإسراف:

- (١) عدم استشعار خطر الأمر وعدم تعظيم نعمة الله وهي هنا الماء وانظر إلى الفرق بيننا وبين من سبقنا في تعظيم أمر الماء. وان الماء فيه الحياة بإذن الله.
- (٢) كثرة المعاصي أضعفت شكر الله تعالى وهذا يؤدي إلى صرف هذه النعمة عنا ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون﴾. وقد أحسن الشاعر حيث قال:

إذا كنت في نعمة فارعها فإن الذنوب تزيل النعم
 ﴿ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾.

٣) الترف والبذخ الذي يعيشه الناس أقسى قلوبهم، فلم يقدروا نعمة الله تعالى. فإذا أعلن عن صلاة الاستسقاء فإن الناس ينقسمون إلى فريقين: فريق لا يحضر الصلاة ويستغلها في النوم، ويقول بلسان حاله لسنا بحاجة إلى الأمطار، فالتحلية وصلت إلى البيوت ناسياً أن خزانات المياه الجوفية فارغة وتحت رحمة الله لتمتلي، ولا تستجلب رحمة الله إلا بدعائه وطاعته، وهذا صاحب قلب بارد ونظرة قاصرة.

وفريق عنده شعور إيماني وهم قلة، فيحضر إلى المصلى في أحسن زينته، ثم يصلي ولا يتأثر قلبه، ولا يظهر خشوعه ولا ذله وانكساره وحاجته بين يدي الله ثم يذهب لا يهمه شيء ولو أهمه فبنسبة ضعيفة. فلذا لا تأتينا الأمطار مع كثرة صلاة الاستسقاء ولو أمطرنا فلا نجد البركة قال صلى الله عليه وسلم **(ليست السنة ألا تمطروا ولكن السنة أن تمطروا ولا تنبت الأرض)**. رواه مسلم.

الخطبة الثانية

وإيكم بعض الطرق والوسائل التي نستجلب بها رحمة الله في المطر ونسلم من عقوبته في الجفاف:

١. دعاء الله عز وجل، وهذه سنة قليل من يعمل بها، ادع الله في المطر وأن يسقينا الغيث ولا تنتظر إمام المسلمين ليعلن عن صلاة الاستسقاء أو إمام الجمعة يخطب ويدعو الله، ادع أنت ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾.

ادع وأنت تستشعر الخطر، وأن المصيبة قادمة إن لم يحطنا الله عز وجل برحمته ورعايته، وأظهر الخشوع والذل والافتقار إلى الله.

٢ - التوبة من المعاصي ورد المظالم إلى أهلها، فإن أحد أسباب منع القطر هو الظلم الحاصل من الناس بعضهم لبعض، وأكل أموالهم عافانا الله وإياكم.

٣ - ترك التشاحن من أجل الدنيا.

فعلينا أن نتوكل على الله لا على البشر، وعلينا أن نلجأ إلى الرزاق ذي القوة المتين لا إلى التحلية والمحطات وغيرها، وعلينا أن نفوض أمرنا إلى الله لا إلى غيره، فنسأل الله أن يغيثنا المطر وأن لا يكلنا إلى أنفسنا ولا إلى غيرنا طرفة عين، وعلينا أن نربط قلوبنا وحاجتنا واضطرارنا بالله تعالى، اللهم إنا نسألك بأننا نشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم نسألك أن تغيث قلوبنا وتحييها بذكرك وتصلح باطننا بالإخلاص والمحبة لك، وظاهرنا بالاتباع التام لرسولك - صلى الله عليه وسلم - اللهم

إنا نسألك الغيث تحيي به البلاد، وتغيث به العباد، وتجعله بلاغاً
للحاضر والباد. اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب، ولا هدم، ولا بلاء،
ولا غرق.

اللهم اسقِ عبادك وبلادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحيِ بلدك الميت.
سبحان الله، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا، رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

اللهم إنا نسألك البركة في أعمالنا وأعمارنا، وأولادنا وبلادنا، وأموالنا
وأوقاتنا، وحروثنا وزروعنا، وتجاراتنا وصناعاتنا رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا
أَوْ أخطأْنَا، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا،
رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، أَنْتَ
مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

اللهم انصر دينك وكتابك، وسنة نبيك محمدٍ صلى الله عليه وسلم
وعبادك الصالحين. اللهم ادفع عنا الغلاء والوباء، والربا والزنا، والزلازل
والمحن، وسوء الفتن، ما ظهر منها وما بطن، عن بلدنا وعن سائر بلاد
المسلمين يا رب العالمين!

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، وأيد بالحق والتوفيق
والتأييد والتسدید إمامنا وولي أمرنا، وارزقه البطانة الصالحة، واجمع به
كلمة المسلمين على الحق يا رب العالمين.